



مناهج تصنيف العلوم في الحضارة الإسلامية

Methods of classification of sciences in Islamic civilization

محمد روي*

كلية أصول الدين/جامعة عبد المالك السعدي (المغرب).

Moharoui2011@gmail.com

تاريخ النشر: 2025-07-15

تاريخ القبول: 2025-04-12

تاريخ الاستلام: 2025-01-04

ملخص:

يسعى هذا البحث إلى الكشف عن مساهمة الحضارة الإسلامية في مناهج تصنيف العلوم، من جهة البحث عن مقاصد التأليف فيه، والمناهج التي تأثر بها علماء الإسلام في تواليهم، والتميز بين الذين اتبعوا المناهج التي سبقت هذه الحضارة، إضافة إلى إيضاح المنهج الذي تفردوا به في هذا الشأن. وقد تم تقسيم الورقة إلى ثلاثة محاور، يهتم الأول بمقاصد التأليف في هذا العلم وتطوره، والثاني لبيان اتجاه التقليد الأرسطي في تصنيف العلوم، والثالث لإيضاح اتجاه التجديد في تصنيف العلوم. وكان من أبرز النتائج التي تم التوصل إليها: أن علماء الإسلام ضمنوا مناهج تأليفهم علوم دين وعلوم دنيا خلافا لغيرهم، وهذا أهم ما انفردت به الحضارة الإسلامية في هذا الموضوع.

الكلمات المفتاحية: مناهج التصنيف؛ تقسيم العلوم؛ الحضارة الإسلامية؛ علوم دنيا؛ علوم دين.

Abstract:

This research seeks to reveal the contribution of Islamic civilization to the curricula of classification of science, in the search for the purposes of its authorship, the approaches influenced by the scholars of Islam in their alliances, and the distinction between those who followed the curricula preceding this civilization, as well as to clarify their own approach in this regard. The paper was divided into three axes, the first concerned with the purposes of authorship in this science and its evolution, the second to show the direction of the Aristotle tradition in the classification of science, and the third to explain the direction of renewal in the classification of science. One of the most notable findings was that Islam's scholars guaranteed the curricula of their authorship of religious and religious sciences unlike others, which is the most important feature of Islamic civilization in this subject.

Keywords: Classification methods; Division of Science; Islamic Civilization; Sciences the life; Religious Sciences.

* المؤلف المراسل.

1. مقدمة

الحمد لله حمدا يليق بجلال وجهه وعظيم سلطانه، والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء والمرسلين، سيدنا محمد وعلى آله الطيبين وصحابته ومن تبعهم بإحسان واهتدى بهديهم إلى يوم الدين.

وبعد: فإن علماء الحضارة الإسلامية اهتموا بالتأليف في ما يسمى تصنيف العلوم، من جهة إحصائها وتقسيمها إلى أقسام وأنواع مختلفة، ويعرضونها بشكل تربوي يُسهل فهمها والوعي بها، فلا يخفى أن تنشئة المتعلم في الأدبيات التربوية الإسلامية القديمة تقتضي الالتزام بمنهج معين ومحدد قبل الدخول صلب دراسة العلوم مباشرة؛ أن يدرس المؤلفات التعليمية التي تجمع أصناف العلوم لغرض تقريبها للمتلقي، لأنها تختص بمميزات تربوية في المراحل التعليمية الأولى؛ مما يخول له في مراحل أخرى تطوير ما تلقاه بعد استعباده أو التخصص في علم ما من العلوم التي درسها.

والواقع أن مناهج تصنيف العلوم في الحضارة الإسلامية تصنّف العلوم إلى قسمين: قسم يمكن رده إلى التأثير بالأرسطية باعتبار الميل إلى منهج تصنيف المعلم الأول مع الاجتهاد والتصرف في ترتيب أنواع العلوم وإضافة غيرها، وقسم آخر لا يخضع تماما لمنهج أرسطو، بحيث إنه مع ذكره للعلوم التي يذكرها القسم الأول، فهو يضيف إليه علما آخرا، وهو علوم الشريعة الإسلامية وعناصرها، فتصبح في القسم الأول علوم دنيا، وفي القسم الثاني علوم دين ودنيا. فالغاية المقصودة إذن تتمثل في التمييز بين هذه التصنيفات وكذا بيان المؤلفات في هذا العلم من جهة المنهج المتبع وأي قسم يمكن أن تندرج فيه، وإيضاح تميّز المنهج الإسلامي في هذا الصنف من مناهج التأليف الجامع لعلوم الدين والدنيا.

أهمية البحث:

وتظهر أهمية دراسة مناهج التأليف عند مفكري الإسلام في علم تصنيف العلوم، في محاولة إبراز من تأثر منهم في بناء نسقه التألفي بمناهج الحضارة اليونانية المعروفة بآراء فلاسفتها في هذا الشأن، ومن ثمة تبيان مساهمة الحضارة الإسلامية في إبداع منهج مبتكر في التأليف في علم تصنيف العلوم.

إشكالية البحث:

وتتحكم في هذه الورقة إشكالية مركبة على النحو الآتي: ما هي مقاصد كتب تصنيف العلوم في الحضارة الإسلامية؟ كيف كانت مناهج تصنيف العلوم في الحضارات اليونانية والرومانية منها؟ وما هو المنهج المعتمد في التأليف لدى علماء الحضارة الإسلامية في تصنيف العلوم؟

هدف البحث:

كما يهدف هذا البحث إلى تجلية ما أضافه المسلمون في هذا المجال، وإيضاحه أسسه، وإبراز معالمه، ورجاله وكتيبهم التي صنّفوها فيه، وكذا أغراضهم منها، إضافة إلى أنه يروم كشف الفروق بين المناهج التأليفية السابقة على الحضارة العربية الإسلامية.

الدراسات السابقة:

وبخصوص الدراسات السابقة التي تناولت هذا الموضوع، فيمكن القول بأنها عديدة، ولكنها تختلف في أغراضها، وفي مناحي القول فيها، كالدراسة الموسومة بـ "تصنيف العلوم عند العلماء المسلمين"⁽¹⁾، وهي من الدراسات المطولة التي أوضحت الخطوط العريضة لهذا العلم نظريا وتطبيقيا، ولكنها أقرب إلى البحث البيبليوغرافي. ونجد أيضا بحثا عنوانه "تصنيف العلوم ما بين اليونان والعرب"⁽²⁾، يرنو فيه صاحبه إيضاح مناهج التصنيف لا مناهج التأليف. وبحث آخر عبارة عن جزأين معنون بـ "مسألة تصنيف العلوم عند المسلمين وغيرهم"⁽³⁾، وهذا العمل. على صغره. يقترب من البحث السابق في إشكاليته على وجه التقريب. وتدخل ضمن هذا الموضوع دراسة بعنوان "مراتب العلوم؛ حول تصنيف العلوم في تاريخ الفكر الإسلامي"⁽⁴⁾، حاول فيها مؤلفها دراسة علم تصنيف العلوم من خلال مراتب كل علم في الفكر الإسلامي.

هذا من جهة الدراسات المكتوبة باللغة العربية، أما غيرها فهي أيضا متعددة، لكن الملاحظ عليها. مقارنة مع التي بالعربية. أنها خاصة، تدرس مؤلفا مسلما وآرائه في تصنيف العلوم، وعلى سبيل المثال لا الحصر؛ دراسة بالإنجليزية معنونة بـ "تصنيف العلوم حسب رسائل إخوان الصفا"⁽⁵⁾، يجرّد فيها صاحبها تصنيف إخوان الصفا في رسائلهم. وبحث بالفرنسية حول "التصنيف الإسماعيلي للعلوم: مساهمة أبي يعقوب السجستاني في حديث الكندي وعلاقاته بأبي الحسن العامري"⁽⁶⁾، وأخرى بالإنجليزية معنونة بـ "تصنيف ابن الهيثم للمعرفة"⁽⁷⁾، تهتم بعرض آراء الحسن ابن الهيثم في هذا العلم. ولكن هذا الخصوص هو على الجملة؛ ذلك أنه توجد أبحاث تتسم بطابع العموم في دراسة هذا الموضوع، كالدراسة التي كتبت بالإنجليزية "تصنيف العلوم عند المسلمين"⁽⁸⁾.

ومما يلفت النظر في هذه الدراسات والأبحاث أن الهم الإشكالي فيها ينطوي أساسا على جرد تصنيفات المسلمين للعلوم، وأنهم أيضا قد كتبوا في هذا العلم وتوسعوا فيه، والدليل على ذلك تتابع التأليف فيه

(1) جلال الدين موسى، تصنيف العلوم عند العلماء المسلمين.

(2) محمد جلوب الفرخان، تصنيف العلوم ما بين اليونان والعرب.

(3) عبد الله لعربي، مسألة تصنيف العلوم عند المسلمين وغيرهم، ص 1.

(4) أمير دزري، مراتب العلوم؛ حول تصنيف العلوم في تاريخ الفكر الإسلامي، ص 6.

(5) - Godefroid de Callataÿ, "The Classification of the Sciences according to the Rasa'il Ikhwan al-Safa", pp. 1-13.

(6) - Daniel De Smet, "Une Classification Ismaélienne Des Sciences. L'Apport D'Abū Yaḡūb Al-Sijistānī À La 'Tradition D'Al-Kindī' Et Ses Liens Avec Abū 'L-Ḥasan Al-'āmirī", pp. 77-90.

(7) - Usep Mohamad Ishaq, and Mohamad Nor Wan Daud, "Ibn Al-Haytham's Classification of Knowledge", pp.189-210.

(8) - Mahdi al-Mubaqqiq, The Classification of THE Sciences, the different aspects of Islamic Culture.

عصرًا بعد عصر، وكذا بيان آراء المفكر الإسلامي في تصنيفه للعلوم. غير أنها لا تنظر إلى هذا العلم نظرة حضارية تبدي فيها اجتهادات مفكري الإسلام وإضافاتهم، بل قلما تنتظم غايتها في هذا النحو، فمنها من تركز على المقارنة بين مؤلفات المسلمين ومؤلفات فلاسفة اليونان، وتبحث عن أثرهم في تصنيفات فلاسفة الإسلام، بل أحيانا ترنو رد ما قام به العرب في هذا الشأن إلى غيرهم كاليونان. على أن الإشكالية الأساسية في هذه الورقة تجعل من منهج التأليف غرضًا لها لا منهج التصنيف، وتجعل من الاختلافات والإضافات التي أضافها علماء الإسلام غاية لها؛ إذ منها تأتي قيمة هذه الدراسة. وهذا لا يعني أنه لم يتم الاستفادة من هذه الدراسات التي تم عرضها، لكن ذلك تم بقصد توجيه البحث نحو حركية الإشكالية المدروسة.

منهج البحث:

وتجدر الإشارة إلى أنه يلزم من البحث في هذا الموضوع الإلتجاء إلى مناهج قميّة بالكشف عن إبداع ومساهمة الحضارة الإسلامية في مناهج التأليف في تصنيف العلوم، ولا منهج أفيد هنا من المنهج الوصفي من جهة رصد ووصف خصائص منهج تصنيف علماء الإسلام للعلوم، والمنهج التاريخي من خلال جمع البيانات القميّة بدراسة تطور مناهج تأليف وتصنيف العلوم، وأيضًا المنهج المقارن في بعض المناسبات التي تستدعي المقارنة بين المنهج الإسلامي والمنهج اليوناني في تصنيف العلوم.

خطة البحث:

ومن أجل الإجابة عن أسئلة الإشكالية أعلاه؛ بالوسع تقسيم هذا البحث إلى مقدمة وثلاثة محاور وخاتمة، وهي على النحو الآتي:

- المحور الأول: مقاصد التأليف في تصنيف العلوم وتطوره
- المحور الثاني: اتجاه التقليد الأرسطي في تصنيف العلوم
- المحور الثالث: اتجاه التجديد في تصنيف العلوم

2. مقاصد التأليف في تصنيف العلوم وتطوره

1.2 المفهوم والدلالة:

إذا أردنا أن نلم بمفهوم "تصنيف العلوم" ينبغي أن نبدأ بدلالته اللغوية؛ فنقول: بأن التصنيف لغة، كما في معجم مقاييس اللغة: "الصاد والنون والفاء أصل صحيح مطّرد بين معنيين: أحدهما الطائفة من الشيء، والآخر تمييز الأشياء بعضها عن بعض"⁽¹⁾. واصطلاحًا: "هو تقسيم الأشياء أو المعاني وترتيبها في نظام خاص، وعلى أساس معين بحيث تبدو صلة بعضها ببعض، ومنه تصنيف الكائنات والعلوم"⁽²⁾. أما علم تصنيف العلوم: حسب طاش كبرى زاده (ت. 968هـ): "هو علم باحث عن التدرج من أعم الموضوعات

(1) أبو الحسين ابن فارس، مقاييس اللغة، 22/2.

(2) معجم اللغة العربية، المعجم الفلسفي، ص 45.

إلى أخصها، ليحصل بذلك موضوع العلوم المتدرجة تحت ذلك الأعم⁽¹⁾. وأيضاً هو "محاولة إيجاد قواسم مشتركة بين مختلف العلوم من أجل التمييز بينها في مجموعات محددة، وذلك من خلال اعتبار معيار أو معايير محددة كآلية للتمييز، وقد تباينت المواقف في تحديد هذه الآليات، فمن المصنفين من اعتمد على النظر في الغاية من العلم، ومنهم من اعتمد على النظر إلى مصدر العلوم، وهناك من ركز على المقابلة بين طبيعة العلوم من حيث كونها نظرية أو عملية"⁽²⁾.

2.2. إسهامات المسلمين فيعلم تصنيف العلوم:

إن اجتهادات وإضافات المسلمين في هذا العلم تعكس جوانب مشرقة من إبداعاتهم العلمية، مما دفع بالمستشرق فرانز روزنتال Franz Rosenthal (1914. 2003) إلى التنويه بالجهودات العربية في مجال تصنيف العلوم وعرضها بطرق منظمة إذ جعل مؤلفاتهم ورسائلهم تمثل مشروعاً علمياً بارزاً ومتميزاً عن التصنيفات الإغريقية السابقة⁽³⁾.

ويرى بعض الباحثين أنه يُحسب للمسلمين أنهم أول من وضع مصنفات مستقلة في علم تصنيف العلوم، بل يرجع الفضل إليهم أنهم أول من تفتن إلى أن موضوع التصنيف علم، ووضعوا له تعريفاً، وحددوا مكانه ضمن خريطة المعرفة الإنسانية، وقد سبقوا في ذلك الغرب الذي تنبه لعلم التصنيف في القرن التاسع عشر مع ظهور أول نظام تصنيف مكتبي على يد ميلفيل ديوي (Melvil Dewey 1851-1931)⁽⁴⁾.

كما أن إسهاماتهم تتصل أكثر بما هو تاريخي، بحيث يجمعون في كتبهم تاريخ الأمم والحضارات المختلفة، وهذا ما يفهم من كلام ابن النديم (ت. 384هـ) في تأليفه، حيث يقول: "هذا فهرست كتب جميع الأمم، من العرب والعجم، الموجود منه بلغة العرب وقلمها في أصناف العلوم وأخبار مصنفها، وطبقات مؤلفيها وأنبيائهم، وتاريخ مواليدهم ومبلغ أعمارهم وأوقات وفاتهم، وأماكن بلدانهم ومناقبهم، منذ ابتداء كل علم اخترع إلى عصرنا هذا، وهو سنة سبع وسبعين وثلاثمائة سنة للهجري"⁽⁵⁾. واضح أن أبا الفرج هنا يُدرج في تأليفه ما هو خاص بتصنيف العلوم وما هو خاص بالتاريخ والحضارات، فأضحى عنده هذا المنهج عاماً، ينضوي فيه علم تصنيف العلوم.

وإذا كان ابن النديم اهتم في كتابه بجمع "كتب جميع الأمم"؛ فإن صاحب "مفاتيح العلوم" الخوارزمي (ت. 232هـ). المتقدم زمنياً على أبي الفرج. يعتني في كتابه هذا بوضع مؤلف يجمع أوائل العلوم التي يحتاجها المتعلم؛ يقول في مقدمة كتابه: "دعني نفسي إلى تصنيف كتاب يكون جامعاً لمفاتيح العلوم

(1) طاش كبرى زاده، مفتاح السعادة ومصباح السيادة، 300/1.

(2) عبد الله لعربي، مسألة تصنيف العلوم عند المسلمين وغيرهم (الجزء الأول)، ص 2.

(3) انظر: المرجع نفسه والصفحة.

(4) انظر: المرجع نفسه والصفحة.

(5) أبو الفرج ابن النديم، الفهرست، 3/1.

وأوائل الصناعات، متضمنًا ما بين كل طبقة من العلماء من المواضع والاصطلاحات، التي خلت منها، أو من جلها الكتب الحاضرة لعلم اللغة حتى أن اللغوي المبرز في الأدب، إذا تأمل كتابًا من الكتب التي صُنفت في أبواب العلوم والحكمة، ولم يكن شد وصدرا من تلك الصناعة، لم يفهم شيئًا منه، وكان كالأمي الأغتم عند نظره فيه⁽¹⁾.

فيلوح أن الحضارة الإسلامية خاصة في القرون الأولى اعتنت بمثل هذه المؤلفات التي تجمع جميع العلوم والرجال والطبقات، وأيضا اعتنت بتصنيف مؤلفات خاصة لتقريب العلوم من خلال الاختصار على مبادئها الأساسية، وسوف يتبدى لنا في المحور الثاني الدليل على كثرة وتنوع التصنيف في هذا العلم، ومساهمة علمائها في تطور مناهج التأليف فيه.

3.2. غاية التأليف في تصنيف العلوم في الفكر الإسلامي:

سبق القول في التقديم أن المتعلم في الفكر الإسلامي القديم -أو حتى اللاتيني واليوناني- تستدعي الأدبيات التربوية والتعليمية المعمول بها الانتظام في منهج محدد قبل الانتقال إلى دراسة علم معين دراسة شاملة؛ أن يمر على المؤلفات التي تجمع أنواع العلوم المتنوعة والمشهورة؛ ذلك لأنها تختص "بميزة للمتعليم وهي الدقة في تلقي المصطلحات الفنية للعلوم"⁽²⁾، ويتفق "الفلاسفة المسلمون على أهمية هذه العملية وقيمتها المعرفية، إذ يصبح لزاما على كل فيلسوف أن يحصل، في مرحلة أولى، تكوينًا معرفيًا خاضعًا لترتيب معين، يسمح له في مرحلة تالية بتطوير معارفه وفق التصنيف الذي اختاره أثناء عملية تكوينه"⁽³⁾، لذا؛ فالاعتناء القبلي بهذا المنهج التعليمي ليس أمرًا يمكن أن يخالفه الطلاب.

وقد تعددت واشتهرت المؤلفات في هذا المجال، ولعل "إحصاء العلوم" للفارابي (ت. 339هـ) أشهرها، فهو على الرغم من إحصائه للعديد من العلوم "لا يعد دائرة معارف كما ذهب إليه عدد كبير من الباحثين الشرقيين والغربيين، كما أنه ليس إحصاء واقعيًا للموجود بالفعل من العلوم في عصر الفارابي"⁽⁴⁾، وإنما هو مخطط لما يجب أن يطلع عليه المتعلم قبل التخصص في علم ما، معنى ذلك أن "تصنيف العلوم يعتبر مدخلًا للتعليم، وتبصرًا لزامًا لمن يريد أن يشتغل بعلم من العلوم، وتعريفًا مهمًا بالفائدة المرجوة من تحصيله، فهو من هذه الزاوية عبارة عن خريطة معرفية متكاملة تقدم لقارئها حدود العلم ومساحته، وتضع يده بسهولة على كنوزه ومناجمه، كما أنه دليل أمين يبين للسالك طبيعة الدرب الذي يسير فيه، ويبصره بعيوبه ومزايه"⁽⁵⁾، وذلك هو غرض مثل هذا الكتاب.

وعبارات الفارابي في تقديمه لإحصائه تؤكد منجاء التعليمي، فإن قصده منه إحصاء مقاطع مناسبة تتيح معرفة مدخلية لكل علم أحصاه، وهذا المعنى نجده في وقوله: "قصدهنا في هذا الكتاب أن نحصي العلوم المشهورة علما علما، ونعرف جمل ما يشتمل عليه كل واحد منها، وأجزاء كل ما له منها أجزاء،

(1) محمد بن أحمد الخوارزمي، مفاتيح العلوم، ص 13-14.

(2) بول موي، المنطق وفلسفة العلوم، ص 81.

(3) نظيرة فدواش، تصنيف العلوم عند ابن باجة، ص 200.

(4) حامد طاهر، الفلسفة الإسلامية: مدخل وقضايا، ص 157.

(5) المرجع نفسه، ص 158.

وجمل ما في كل واحد من أجزائه⁽¹⁾. وفيه يذكر أيضا الغرض التعليمي؛ إذ الإنسان "إذا أراد أن يتعلم علما من هذه العلوم وينظر فيه عِلْم على ماذا يقدم وفي ماذا ينظر وأي شيء سيفيد بنظره وما غناء ذلك وأي فضيلة تنال به، ليكون إقدامه على ما يقدم عليه من العلوم على معرفة وبصيرة لا على عى وغرر"⁽²⁾، وأغراض أخرى مختلفة تدخل ضمن المجال التعليمي، فليس غايته فقط إحصاء موضوعات العلوم. ومما يدل على هذه الأهمية والقيمة التعليمية في نفس الوقت أن فيلسوفا متأخرا من الأندلس وهو أبو الحجاج ابن طملوس (ت. 620هـ) اقتطف فصلا من فصول الإحصاء بتمامه إلى كتابه "المختصر في المنطق"⁽³⁾؛ إذ يصرح بأنه ينقل هذا الفصل عن غيره: "ولما رأيت كلام غيري، هذا الذي أسوقه، كاملا بالغا في وصف هذه الصناعة، جئت به على وجهه من غير زيادة ولا نقصان"⁽⁴⁾، فما نقله لم يزد عليه شيئا لأن ما وجده عند غيره لا يفي بالغرض المقصود، ولا حاجة أيضا لإنشاء قول له ما دام كلام أبو نصر بالغ الوصف في "ما قيل في منفعة هذه الصناعة وجدواها، ليقف الناظر فيها أولا على مقدار ما يحصل له من المعرفة، وليكون هذا القول يحثه ويحضه على تعلمها"⁽⁵⁾. كل ذلك من أجل غاية تقريب المتعلم من هذا الفن قبل الدخول مباشرة صوب مسائله وقضاياها الكبرى ومشكلاته الكبرى.

وقد جعله ابن طملوس فاتحة لكتابه قبل الانتقال نحو فصول علم المنطق، والحقيقة أن مثل هذه المؤلفات كما قال صاعد الأندلسي (ت. 462هـ) ضرورية للمتلم؛ وذلك عند حديثه عن "إحصاء العلوم" نفسه للفارابي في قوله: "ثم له (أي الفارابي) كتاب شريف في إحصاء العلوم والتعريف بأغراضها، لم يسبق إليه، ولا ذهب أحد مذهبه فيه، لا يستغنى طلاب العلوم كلها عن الاهتداء به وتقديم النظر فيه"⁽⁶⁾، فقد جمع فيه جملة من الأمور، كتفصيله القول في تعريف معاني كلمة المنطق، ومنفعة صناعة المنطق، والتعريف بموضوعاته والأجزاء المكونة لكتبه، كل كتاب على حدة، هذا فضلا عن الموازنة والمقارنة بين علم المنطق وبين علوم أخرى كالنحو وعلم اللسان، فهذا التناسب يقصد به تقريب موضوعه للمتلم، والأجزاء المهمة من هذه الكتب، وغيرها مما جمع في فصل المنطق من الإحصاء مما لا يوجد مفصلا بهذا الشكل والمنهج الفريد. وعلى الجملة فهذا الكتاب والفصل المخصص للمنطق مستوفي لكل ما يمكن أن يوضع للمتلمي أو القارئ قبل بداية ولوجه إلى تضاعيف كتب هذا العلم، ولذلك قدمه ابن طملوس، مما يبين تمييزه لهذا المؤلف ومنهجه ومضمونه وتفصيلاته، وأيضا لطريقة معالجته على وجه العموم، وفمن هنا تظهر أهميته للمتلم، وهذا المنهج هو الذي تهجه المؤلفات في هذا النوع من الفنون.

(1) أبو نصر الفارابي، إحصاء العلوم، ص 53.

(2) المصدر السابق، ص 53-54.

(3) أبو الحجاج ابن طملوس، المختصر في المنطق، ص 17.

(4) المصدر السابق، ص 16-17.

(5) المصدر السابق، ص 16.

(6) انظر: أبو القاسم صاعد الأندلسي، طبقات الأمم، ص 73.

4.2. مناهج تصنيف العلوم في الحضارة اليونانية:

يذهب بعض الباحثين إلى أن أول تصنيف معروف للعلوم هو الذي عُرف عن أفلاطون (ت.340ق.م) في كتابه "التصنيف النظري والعلمي"⁽¹⁾، والواقع أن هذه الفكرة قد لا تقبل طالما أن أستاذ أفلاطون سقراط (ت.399ق.م) قد اهتم واشتغل أيضا بالعلوم والتميز بينها، ذلك أنه "ظهر في بيئة سيطرت فيها على الفكر اليوناني الرياضيات والفلك والطبيعيات والخطابة والأخلاق"⁽²⁾، ولكنه "لم يحفل بالطبيعيات والرياضيات، فأثر النظر في الإنسان، وانحصرت الفلسفة عنده في الأخلاق"⁽³⁾. فأفلاطون بغض النظر عن كتابه المذكور سابقا، نرى أن في كتبه الأخرى تصنيفا للعلوم والمعارف، فقد كان يهتم ويشغل أكثر بـ"السياسة والمنطق والأخلاق والطبيعيات"⁽⁴⁾، كما أن محاوراته المشهورة من التي "تمس تصنيف المعرفة تحتوي على الموضوعات التالية: الحق والباطل، العفة والشجاعة، السياسة والفلسفة والأخلاق، العلم والقانون، النفس والحب، نظرية المعرفة، أصل العالم، المنطق، تنظيم المدينة"⁽⁵⁾.

وإذا انتقلنا إلى تلميذ أفلاطون أرسطو (ت.322ق.م) يتبين أنه يميز بين ثلاثة أنواع من التفكير: النظري والعملي والمنتج أو الميكانيكي، هذه الأنواع الثلاثة من التفكير تقابل الفلسفة النظرية والعملية والصناعات الإنتاجية، فالفلسفة النظرية عنده تشتمل العلوم الإلهية والرياضية والطبيعية، والفلسفة العلمية تشمل الأخلاق والاقتصاد (تدبير المنزل)، والسياسة والصناعة الإنتاجية تشمل الشعر والخطابة⁽⁶⁾، وهذا ما نجده في كتابه "الميتافيزيقا" في عبارته هذه: "كل فكر إما عملي، أو شعري، أو نظري"⁽⁷⁾.

وتجدر الإشارة إلى أن هناك فلسفات تندرج ضمن الفلسفة اليونانية أتت بعد أرسطو، وهي المعروفة بالرواقية والأبيقورية، وهي تعرف تاريخيا بأنها فلسفات نشأت وازدهرت في الفترة الهلنستية، فالأولى يقسم أحد أهم رجالها أعني زينون الأبيقوري (ت.263ق.م) "الفلسفة إلى ثلاثة أجزاء: المنطق والطبيعيات والأخلاق"⁽⁸⁾، وأما بخصوص الأبيقورية، فـ"أبيقور ينكر على الفيلسوف أن يشتغل بالرياضيات والتاريخ

(1) Ernest Cushing Richardson, Classification, theoretical and practical, together with an appendix containing an essay towards a bibliographical history of systems of classification. p79.

(2) حنا الفاخوري و خليل الجر، تاريخ الفلسفة العربية، ص 59-60.

(3) يوسف كرم، تاريخ الفلسفة اليونانية، ص 102.

(4) حنا الفاخوري و خليل الجر، تاريخ الفلسفة العربية، ص 61.

(5) انظر: عبد الله لعربي، مسألة تصنيف العلوم عند المسلمين وغيرهم (الجزء الأول)، ص 4.

(6) George Sarton Baltimore, Introduction to the History of Science. Volume I: from Homer to Omar Khayyam. 128.

(7) حامد طاهر، الفلسفة الإسلامية: مدخل وقضايا، ص 152-153.

(8) عبد الرحمن بدوي، خريف الفكر اليوناني، ص 13.

وبالموسيقى⁽¹⁾، ومن ثمة، " فلم يبق من الفلسفة بالمعنى الحقيقي إلا الأخلاق"⁽²⁾، فمن الظاهر أن هذه المذاهب الفلسفية المتأخرة في الفلسفة اليونانية لا تدرج علوما ضمن الفلسفة علوم مثل الرياضيات والهندسة والطب وغيرها.

أما في العصر الروماني المسيحي الذي شهد بروزا للفلاسفة المسيحيين، ويطلق على فترتهم بفلسفة العصور الوسطى، وهنا نريد الاختصار على أحد فلاسفة هذا العصر، وهو القديس إيزيدور الأشبيلي (ت. 636م)⁽³⁾، الذي يعتبر من الشخصيات الإسبانية التي تميزت بالجمع بين الدين المسيحي وعلوم الفلسفة، وقد ذكر اسمه المؤرخ العربي المعروف بابن جليل (ت. 377هـ) في "طبقات الأطباء والحكماء"⁽⁴⁾. وأعظم كتب إيزيدور وأبقاها كتاب أصول الكلمات (Originum rive etymologiarum)، والكتاب عبارة عن موسوعة أخلاقية تضم ثروة عظيمة من الأفكار اليونانية والرومانية والفلسفة المسيحية الأولى، يعالج في الأجزاء الثلاثة الأولى الفنون السبعة: النحو والبلاغة والمنطق والحساب والهندسة والموسيقى والفلك، ثم يخص الطب بالجزء الرابع، ويخص بالقانون والتاريخ الجزء الخامس، ويجعل الجزء السادس للإنجيل وغيره من الكتب الدينية، وهكذا يختص كل لون من المعارف الإنسانية بجزء⁽⁵⁾، مما يُظهر أن تأليفه لم يؤلف تصنيفا للعلوم، بل موسوعة جمع فيها العلوم التي كانت منتشرة في زمنه، ومما كان يُدرس فيه أيضا، ومع ذلك فالموسوعة توحى وتعبر بالعلوم المصنفة التي يشتغل بها مفكرو زمان إيزيدور. على أنه يمكن النظر إليها كحصر للعلوم في القرن السابع الميلادي؛ أي بداية نشوء وتطور الفكر الإسلامي.

3. اتجاه التقليد الأرسطي في تصنيف العلوم

لقد كان من مقاصد إيراد مناهج التأليف التي كانت قبل الحضارة الإسلامية أن نكتشف ما أضافه فلاسفة وعلماء الإسلام على من سبقهم، فرأينا أن منهج تقسيم العلوم وكذا طريقة التأليف في التقليد اليوناني اللاتيني، تارة يتم تصنيف العلوم بحسب العملي والنظري منها كما قام بذلك أرسطو، وتارة تقتصر على بعض العلوم كالرواقية والأبيقورية، وتارة أخرى بشكل متفرق لا يحكمه منهج، ولكنها كما يتضح قد اقتصررت على العلوم العقلية أكثر. وكما سنلاحظ هاهنا أن الحضارة الإسلامية قد تأثر مفكروها بتقسيم فلاسفة اليونان، لكن ذلك ليس على إطلاقه، نعم؛ سنجد من الفلاسفة والمصنفين من

(1) المرجع السابق، ص 51.

(2) المرجع نفسه، ص 52.

(3) القديس إيزيدور الأشبيلي: Isidoro de Sevilla ولد بقرطاجنة من أعمال إسبانيا، وصار أسقفًا على إشبيلية سنة 601م إلى وفاته، ويعتبر من أكبر شخصيات العصر القوطي مكانا وأبقاها أثرا في مستقبل البلاد الثقافي. انظر: يوسف كرم، تاريخ الفلسفة الأوروبية في العصر الوسيط، ص 58-57.

(4) انظر: أبو داود سليمان ابن جليل، طبقات الأطباء والحكماء (معه تاريخ الأطباء والفلاسفة لإسحاق بن حنين)، ص 41 و(له).

(5) انظر: حسين مؤنس، فجر الأندلس: دراسة في تاريخ الأندلس من الفتح الإسلامي إلى قيام الدولة الأموية (711-757م)، ص 41.

اتبع منهجها، مثلما سنجد من اجتهد وزاد على هذا المنهج، انطلاقاً من خصوصيات مجاله التداولي العربي الإسلامي، ومن هنا يأتي إبداعها وتفرداها في هذا الفن.

لو نظرنا في تصنيفات فلاسفة الإسلام لوجدناها حيناً تقترب من منهج أرسطو وآخر تبتعد عنه، فأبو يوسف يعقوب الكندي (ت. 256هـ) على الرغم من أنه لم يخصص. كما يظهر من خلال رسائله. تصنيفاً للعلوم، ولكنه ذكر في رسالته لتعلم الفلسفة المعنونة بـ"رسالة كمية كتب أرسطوطاليس وما يحتاج إليه في تحصيل الفلسفة" تصنيفاً مرتباً موجهاً لمن يتوخى دراسة كتب أرسطو، فهو يقول: "فكتب أرسطوطاليس المرتبة التي يحتاج المتعلم إلى استطراقها على الولاء، على ترتيبها ونظمها، ليكون بها فيلسوفاً، بعد علم الرياضيات، هي أربعة أنواع من الكتب: أما أحد الأربعة فالمنطقيات، وأما النوع الثاني فالطبيعيات، وأما النوع الثالث ففيما كان مستغنياً عن الطبيعة، قائماً بذاته غير محتاج إلى الأجسام، وأما النوع الرابع ففيما لا يحتاج إلى الأجسام ولا يوصلها ألبتة"⁽¹⁾، ثم تولى بيان هذه الأنواع، وبيانه لها في واقع الأمر مقتضب وغير مستوفي في بيان الأغراض التي يمكن للقارئ التوصل إليها إذا أراد الإحاطة بأجزاء هذه العلوم⁽²⁾، فإذا تقسيمه يميل إلى التقسيم المقتصر على دائرة العقل. غير أن بعض الباحثين لا يرى هذا المنحى، بل يعتبر أن "الكندي أول من وضع لمفكري الإسلام التخطيط العام لتصنيف العلوم، وقسمه قسمين أساسيين: علوم فلسفية وأخرى دينية"⁽³⁾، والحال أن رسالة الكندي التي تكلم فيها عن تصنيف العلوم لا توجي بذلك، بل هي صريحة في اختيار الأرسطية في تصنيفها.

بينما نجد ابن سينا (ت. 427هـ) في "رسائله في الحكمة والطبيعات"؛ رسالة خاصة سمّاها "أقسام العلوم العقلية" وهي الرسالة الخامسة من هذه الرسائل، فيرى فيها أن هذه العلوم "تنقسم إلى قسم نظري مجرد وقسم عملي، وأقسام النظري ثلاثة: العلم الأسفل ويسمى العلم الطبيعي، والعلم الأوسط ويسمى العلم الرياضي، والعلم الأعلى ويسمى العلم الإلهي"⁽⁴⁾، "وأقسام الحكمة العلمية ثلاثة: الأخلاق، وكسب السعادة، وأصناف السياسات والرئاسات والاجتماعات المدنية الفاضلة والرديئة"⁽⁵⁾، غير أنه يجعل المنطق آلة لهذه العلوم والأقسام كلها لأنه كما يقول "آلة للإنسان موصلة إلى كسب الحكم النظرية والعلمية؛ واقية عن السهو والغلط عن البحث والرؤية، مرشدة إلى الطريق الذي يجب أن يسلك في كل بحث، ومعرفة حقيقة الصحيح وحقيقة الدليل الصحيح"⁽⁶⁾، ثم طفق يُبين أبحاث هذا العلم الذي جعله

(1) أبو يوسف يعقوب الكندي، رسائل الكندي (رسالة كمية كتب أرسطوطاليس وما يحتاج إليه في تحصيل الفلسفة)، 1/364-365.

(2) انظر: المرجع نفسه، 1/365-368.

(3) أحمد فؤاد الأهواني، الكندي فيلسوف العرب، ص 100.

(4) أبو علي ابن سينا، تسع رسائل في الحكمة والطبيعات، ص 105.

(5) المصدر نفسه، ص 107.

(6) المصدر نفسه، ص 116.

في تسعة أقسام بما فيه الإيساغوجي⁽¹⁾. فالملحوظ أنه تأثر بتقسيم أرسطو العلوم إلى النظرية والعملية، دون أن يكون لتقسيمه موقع لغير هذه العلوم.

وينضوي في هذا المنهج فيلسوف الأندلس أبي بكر ابن باجة (ت.533هـ) الذي يقسم العلوم إلى قسمين: الأول: "الصنائع القياسية: الفلسفة وصنائعها خمسة: فمنها العلم الإلهي، ومنها العلم الطبيعي، ومنها العلم الإرادي وهو الفضائل والرذائل، ومنها علم التعاليم، ومنها صناعة المنطق"⁽²⁾، والثاني: "الصنائع العملية، فإن كان منها ما يستعمل القياس، كالطب والفلاحة، فلا تسمى قياسية، لأن غايتها ليست المخاطبة واستعمال القياس، بل إنما غايتها عمل من الأعمال"⁽³⁾، وفيما يتعلق بالمنطق فإنه على ما يبدو يلخص ما في إحصاء الفارابي، وبنفس منهجه تقريبا، خاصة في اتخاذ المناسبات بين المنطق وغيره من العلوم لأجل بيان أغراضه، ومعلوم أنه في مجال المنطق هو تابع للمعلم الثاني ومشتغل بما كتبه فيه. غير الذي ينبغي أن لا يغيب عن الحساب. وسيظهر بعد حين. أن أبا بكر قد تأثر بأبي نصر في فلسفته لكن لا يتبعه في تقسيمه للعلوم، فهو أرسطي في تصنيفه للعلوم.

ولئن نُظر نظرة إجمالية إلى ما سبق، فإنه سيلوح أن تصنيفات هؤلاء الفلاسفة تصنيفات أرسطية، على الرغم من بعض الاختلافات في توسعة النظر وتفصيل أنواعها، لكنها تابعة أو منبثقة من تصنيف أرسطو، مع وجود محاولات لبلورة تصنيفات خاصة، يضاف إليها بعض العلوم ويُزال منها بعضها الآخر، وفي هذا أيضا يدخل شارح أرسطو أبو الوليد ابن رشد (ت.595هـ).

4. اتجاه التجديد في تصنيف العلوم

لعل التقليد الأرسطي ليس تقليدا متفقا عليه بين فلاسفة الإسلام ومفكره ممن كتبوا في فن تصنيف العلوم؛ إذ سوف يظهر أن أغلبهم يخالف تصنيفات الحضارة اليونانية، كما نجد مثلا عند جابر بن حيان (ت.197هـ). وهو متقدم على من سبق ذكره من فلاسفة الإسلام. في رسالته "الحدود" التي يصنف العلوم "على ضربين: علم الدين وعلم الدنيا؛ فكان علم الدين فيها منقسما قسمين: شرعيا وعقليا"⁽⁴⁾، وهو في هذا يعدّ من الأوائل الذين قسموا العلوم إلى علوم الدين وعلم الدنيا، وإن كان لم يتكلم ويفصل فيهما كثيرا بشكل يجلي مقاصده من هذا التصنيف، لكن المهم أنه يقسم العلوم إلى التقسيمين المذكورين.

ويوشك أن يحتفظ تقسيم الفارابي (ت.339هـ) بالأسس التي هيأها أرسطو، سواء في الترتيب أو التقسيم، يظهر ذلك في مقدمة "الإحصاء" عندما عدّد فصول كتابه إذ يقول: "ونجمله في خمسة فصول:

(1) انظر: المصدر السابق، الصفحة نفسها.

(2) أبو بكر ابن باجة، تعليقات ابن باجة على منطق الفارابي (المدخل والفصول)، ص 27-29.

(3) المصدر نفسه، ص 29.

(4) جابر ابن حيان، مجموعة من رسائل جابر بن حيان، ص 57، وانظر: جابر ابن حيان، رسالة الحدود، ضمن: المصطلح الفلسفي عند العرب: نصوص من التراث الفلسفي في حدود الأشياء ورسومها، عبد الأمير الأعسم، ص 167.

الأول في علم اللسان وأجزائه، والثاني في علم المنطق وأجزائه، والثالث في علوم التعاليم، وهي: العدد، والهندسة، وعلم المناظر وعلم النجوم التعليمي، وعلم الموسيقى، وعلم الأثقال، وعلوم الحيل، والرابع في العلم الطبيعي وأجزائه، وفي العلم الإلهي وأجزائه، والخامس في العلم المدني وأجزائه، وفي علم الفقه، وعلم الكلام⁽¹⁾، فكان أبا نصر قد فصل ما أجمله أو ما جمعه المعلم الأول، لكن الملاحظ أنه أضاف علم الفقه وعلم الكلام وجعلهما ضمن العلم المدني، دون أن يجعلهما من أسس تقسيمه، وطالما أنه جعل للعلوم النقلية موضعا في تقسيمه، فيظهر أنه لم يرض عن التقليد الأرسطي مثلما فعل الشيخ الرئيس ابن سينا بعده. ولا تخفى مكانة الفارابي في الفلسفة العربية والعالمية، وهو الذي يطلق عليه المعلم الثاني لبرزه في العلوم التي برع فيها أرسطو، فقد كان من الجدير أن يكون تابعا له في تصنيفه، استنادا لتأثره بفلسفته، ومع ذلك لم يتبعه، وأضاف العلوم الشرعية إلى تقسيمه الخماسي.

وإذا انتقلنا إلى إخوان الصفاء نجد أن العلوم عندهم عبارة عن "ثلاثة أجناس، فمنها الرياضية، ومنها الشرعية الوضعية، ومنها الفلسفة الحقيقية"⁽²⁾، "فأما العلوم الشرعية التي وضعت لطب النفوس وطلب الآخرة فهي ستة أنواع: أولها علم التنزيل ثانيا علم التأويل، والثالث علم الأخبار والروايات، والرابع علم الفقه والسنن والأحكام، والخامس علم التذكار والمواعظ والزهد والتصوف، والسادس علم تأويل المنامات [...] وأما العلوم الفلسفية فهي أربعة أنواع: منها الرياضيات، ومنها المنطقيات، ومنها الطبيعيات، ومنها الإلهيات"⁽³⁾. من الواضح أن إخوان الصفاء يقسمون العلوم تقسيما ثلاثيا، جاعلين ضمنه العلم الشرعي الإسلامي.

كما نجد أن أبا الحسن العامري (ت. 381هـ) في كتابه "الإعلام بمناقب الإسلام" قسم العلوم إلى علوم ملية وعلوم فلسفية، فهو من هاهنا لم يقتصر على العلوم الدينية فقط، وبذلك تكون نظرتة موسعة، تؤمن بالمشترك الإنساني والحضاري، وبالنفع العام الذي لا يتعارض مع خصوصية الحضارة والفكر الإسلاميين. أما بخصوص القسم الأول، أي العلوم الملية، وهو نفس الاصطلاح الذي استعمله قبله الفارابي في كتاباته الفلسفية، والمراد به العلوم الإسلامية. وأصنافها عند العامري: علم الحديث وعلم الفقه وعلم الكلام وعلم الأدب، ومن ثم أسند هذه العلوم إلى الأولياء بقوله: "وأرباب العلوم الملية هم المصطفون من الأولياء"⁽⁴⁾، وكما أنه فرق بين النبي والحكيم بقوله: "وكل نبي حكيم وليس كل حكيم نبيا"⁽⁵⁾، تبياننا منه لقدسية العلوم الدينية.

(1) أبو نصر الفارابي، إحصاء العلوم، ص 53.

(2) إخوان الصفاء، رسائل إخوان الصفاء وعلان الوفاء، 259/1.

(3) المصدر نفسه، 260/1.

(4) أبو الحسن العامري، الإعلام بمناقب الإسلام، ص 80.

(5) المصدر نفسه والصفحة.

وبعد ذلك انتقل إلى إيضاح ما يتفرع من هذا القسم، وقد تجسدت عنده في ثلاثة صناعات: الأولى: صناعة حسية، والثانية: صناعة عقلية، والثالثة: صناعة مشتركة بين الحس والعقل. ثم ذهب إلى أن الصناعة الحسية هي صناعة المحدثين، والعقلية صناعة المتكلمين، والمشاركة هي صناعة الفقهاء، ثم جعل اللغة هي الآلة المعينة في هذه الصناعات كلها التي يتوصل من خلالها إلى هذه الصناعات⁽¹⁾. ومن الغريب أن يكون العامري اعتبر علم الحديث من الصناعات الحسية، ولو بحثنا عن علة ذلك، لكان الأمر راجعاً بشكل ما إلى أن المحدث في تلقيه للحديث، يتطلب منه السماع والبصر والمشاهدة، كل ذلك من أجل نقل المرويات. وبين أن علم الكلام من العلوم التي تستعمل العقل في الوسائل البنائية والاستدلالية فيه. أما علم الفقه فهو يعتبر صناعة مشتركة بين الحس والعقل، واللغة هي آلة هذه الصناعات كلها. والقسم الثاني فهو العلوم الحكيمة أو الفلسفية، وهي المعروفة في الثقافة الإسلامية بالفلسفة المنقولة والمترجمة من التراث اليوناني والفارسي وغيره، والعامري هنا قسمها على نفس منوال تقسيم الصناعات السابقة: الأولى: صناعة حسية، والثانية: صناعة عقلية، والثالثة: صناعة مشتركة بين الحس والعقل. فيرى أبو الحسن أن: "الحسية هي صناعة الطبيعيين، والعقلية صناعة الإلهيين، والمشاركة صناعة الرياضييين"⁽²⁾، وذهب إلى أن الرابط بين هذه الثلاثة هي صناعة المنطق التي جعلها أداة الصناعات الثلاثة.

والأمر نفسه عند الخوارزمي (ت. 387هـ) في كتابه "مفاتيح العلوم"، الذي جعله كما يقول في "مقالتين: إحداهما لعلوم الشريعة وما يقترب بها من العلوم العربية، والثانية لعلوم العجم من اليونانيين وغيرهم من الأمم"⁽³⁾، وتنقسم الفلسفة عنده إلى قسمين: "أحدهما الجزء النظري والآخر الجزء العملي"⁽⁴⁾، بينما لم يحسم أين يضع المنطق في هذين الجزأين إذ يقول: "ومنهم من جعل المنطق جزءاً ثالثاً غير هذين، ومنهم من جعله جزءاً منها وآلة"⁽⁵⁾. ووضح أنه هنا يميز بين العلوم النقلية والعلوم العقلية، ولا يقسم العلوم إلى نظري وعملي إلا عند الحديث عن العلوم الفلسفية خلافاً للتقليد الأرسطي الذي يكون مفتتح تقسيمه النظري والعملي.

أما تلميذ العامري أبو علي أحمد بن محمد مسكويه (ت. 421هـ)، فقد اقترح في كتابه تهذيب الأخلاق، ما يشبه أن يكون تصنيفاً للعلوم، ولعل من المفيد الإشارة هنا إلى إن مسكويه أشار في كتابه التهذيب إلى أن له كتاباً بعنوان "ترتيب السعادات ومنازل العلوم"، والحقيقة أن عنوان هذا الكتاب يكفي للإعلان على أن

(1) أبو الحسن العامري، الإعلام بمناقب الإسلام، ص 80.

(2) المصدر نفسه، ص 81.

(3) محمد بن أحمد الخوارزمي، مفاتيح العلوم، ص 13.

(4) المصدر نفسه، ص 127.

(5) المصدر نفسه والصفحة.

الرجل قد اهتم بمنازل العلوم⁽¹⁾. فمسكويه أثناء حديثه عن الإنسان، عرض التقسيم الثنائي للفلسفة، وهو التقسيم المعروف والذي يتوزع إلى جزئين؛ الجزء النظري والجزء العملي⁽²⁾، وعلى أساس بيداغوجي تعليمي تربوي رتب العلوم التي يتعلمها الفرد/المتعلم في مرحلة الصبا. ورتبها حسب أولويتها، وبصورة سلسلة علوم تألفت من "أدب الشريعة، وكتب الأخلاق، والحساب والهندسة"⁽³⁾. ومن ثم في حديثه عن العلوم الشريفة المكنونة؛ كشف عن تراتبية جديدة للعلوم في مكونات المنهج التعليمي. وإن هذا المنهج التعليمي تألف من ثلاثة أنواع من العلوم، وهي: المنطق، والعلوم الطبيعية (الخلايق والطبايع)، والعلوم الإلهية⁽⁴⁾. والعلوم الإلهية عنده تتضمن العلوم النقلية المعروفة التي تخدم النص الشرعي.

وتلميذ العامري الآخر وصديق مسكويه أبي حيان التوحيدي (ت. 414هـ)، قد عرض في رسالته التي جاءت تحمل عنوان "في العلوم" تصنيفا للعلوم. وقد بدأ رسالته بنقد موقف علماء عصره من علوم الفلسفة والمنطق، دفاعا عن نظرية التوفيق بين الحكمة والدين التي ينهجها التوحيدي والمدرسة التي نشأ فيها، وقد جادل هؤلاء محاولا الدفاع عن وجهة نظره، وذلك أن الحكمة والدين لهما اتصال وتوافق قد "ثبت في مقدمات الألباب الصريحة"⁽⁵⁾. وتحدث التوحيدي في هذه الرسالة عن "أصناف العلم"⁽⁶⁾. وإن ما تميز به خطاب التوحيدي في أصناف العلم، إنه جاء خطاب موحد وجامع بين علوم الدين وعلوم العقل. كذلك ابن حزم الأندلسي (ت. 456هـ) الذي يرى أن العلوم في كل زمان ومكان وعند كل حضارة تنقسم إلى سبعة أقسام: "علم شريعة كل أمة، وعلم أخبارها وعلم لغاتها، وعلم النجوم، وعلم العدد والطب، وعلم الفلسفة"⁽⁷⁾، وعندما أراد أن يعرف الفلسفة، ذكر مكانها اسم المنطق وقال فيه وهو يريد الفلسفة: "ينقسم إلى عقلي وحسي أما العقلي فالإلهي وطبيعي، وأما الحسي فطبيعي فقط"⁽⁸⁾، فواضح أنه يجعل علم الشريعة أولا قبل العلوم الأخرى، وأيضا من الملاحظ أنه لا يفرق بين إطلاق الفلسفة والمنطق فهما عنده بمعنى واحد⁽⁹⁾، وقد أشار إشارة مهمة عندما قال بأن لكل أمة علم شريعة، وبدأ به، قبل أن يأتي على ذكر العلوم الأخرى.

(1) انظر: أبو علي مسكويه، تهذيب الأخلاق، تقديم: قسطنطين زريق، ص 49.

(2) انظر: المصدر نفسه، ص 39-40.

(3) المصدر نفسه، ص 49.

(4) المصدر نفسه، ص 72.

(5) أبو حيان التوحيدي، رسالتان للعلامة الشهير بأبي حيان التوحيدي (الرسالة الثانية في العلوم)، ص 201.

(6) المصدر نفسه والصفحة.

(7) أبو محمد ابن حزم، رسائل ابن حزم (رسالة في مراتب العلوم)، 78/4.

(8) المصدر نفسه، 80/4.

(9) ونفس الأمر في رسالة "التوقيف على شارع النجاة باختصار الطريق" التي لا يفرق فيها بين الفلسفة والمنطق من جهة التصنيف: "علوم الأوائل هي: الفلسفة وحدود المنطق التي تكلم فيها أفلاطون وتلميذه أرسطاطاليس والإسكندر ومن قفا قفوهم، وهذا علم حسن رفيع لأنه فيه معرفة العالم كله، بكل ما فيه من أجناسه إلى أنواعه إلى أشخاص جواهره وأعراضه، والوقوف على البرهان الذي لا يصح شيء إلا به، وتمييزه مما يظن من جهل أنه برهان، وليس برهانا، ومنفعة هذا العلم عظيمة في تمييز الحقائق مما سواها". أبو محمد ابن حزم، رسائل ابن حزم (رسالة التوقيف على شارع النجاة باختصار الطريق)، 131/3.

وإذا انتقلنا إلى أبي حامد الغزالي (ت505هـ) نجده في كتاب العلم من إحيائه ينص على أن العلوم تنقسم إلى علوم شرعية وأخرى غير شرعية، أي علوم دينية وعلوم دنيوية، والشرعية هي "ما استفيد من الأنبياء صلوات الله عليهم وسلامه ولا يرشد العقل إليه مثل الحساب ولا التجربة مثل الطب ولا السماع مثل اللغة"⁽¹⁾، وغير الشرعية "تنقسم إلى ما هو محمود وإلى ما هو مذموم وإلى ما هو مباح فالمحمود ما يرتبط به مصالح أمور الدنيا كالطب والحساب [...] أما المذموم فعلم السحر والطلسمات وعلم الشعبة والتلبسات؛ وأما المباح منه فالعلم بالأشعار التي لا سخف فيها، وتواريخ الأخبار وما يجري مجراه"⁽²⁾، والفلسفة عنده "ليست علما برأسها بل هي أربعة أجزاء: أحدها: الهندسة والحساب، والثاني: المنطق، والثالث: الإلهيات، والرابع: الطبيعيات"⁽³⁾.

واضح أن أبا حامد يؤكد في تصنيفه على كون العلوم الشرعية هي الأولى في التصنيف والتأليف، والعلوم العقلية منها ما هو محمود ومنها ما هو مذموم. ومما له دلالة على وعي الغزالي بالمنظومة المعرفية الإسلامية في تصنيفها للعلوم؛ أنه في "المنقذ من الضلال" يقرر أن تصنيف اليونان غير تصنيف المسلمين؛ إذ يقول: "اعلم: أن علومهم بالنسبة إلى الغرض الذي نطلبه ستة أقسام: رياضية، ومنطقية، وطبيعية، وإلهية، وسياسية، وخلقية"⁽⁴⁾.

وهكذا ظهر أن تصنيف العلوم بين فلاسفة الإسلام ينقسم إلى قسمين: قسم يمكن رده إلى الأرسطية باعتباره يميل إلى منهج تصنيف المعلم الأول مع الاجتهاد والتصرف في ترتيب أنواعها وإضافة غيرها وينضوي في هذا القسم من فلاسفة الإسلام: الكندي وابن سينا وابن باجة وابن رشد. وقسم آخر لا يخضع تماما للمنهج السابق، بحيث أنه مع ذكره للعلوم التي يذكرها القسم الأول، فهو يضيف إليه علما آخر، وهو علوم الشريعة الإسلامية وعناصرها، فتصبح في القسم الأول علوم دنيا، وفي القسم الثاني علوم دين ودنيا، ويدخل في هذا القسم أغلب علماء الإسلام وفلاسفته.

إننا هنا نتحدث عن منهج فريد من نوعه، أوجده مفكرو وعلماء الإسلام، إنهم انتبهوا إلى أن المناهج السابقة عليهم كانت ملائمة وخاصة بثقافات وتوجهات غيرهم العقدية والفكرية، وهذا يتطلب إضافة إلى تبينة علومهم. بناء تواليهم على ما هو معروف عندهم؛ أي ثنائية النقل والعقل، وبذلك تكون إشكالية المنقول والمعقول متحركة أيضا في مناهجهم. وصحيح أن مؤلفاتهم في بنائها قد تأثروا بفلاسفة اليونان، وعلى الرغم من ذلك، لم يكونوا يجارونهم في تأسيسهم للمعارف والعلوم المصنفة في مثل هذه المؤلفات المبنية على نظرتهم للوجود.

(1) أبو حامد الغزالي، إحياء علوم الدين، 26/1.

(2) المصدر نفسه والصفحة.

(3) المصدر نفسه، 34/1.

(4) أبو حامد الغزالي، المنقذ من الضلال والمفصح بالأحوال، ص 52.

كما لا يمكننا القول بأن الكندي وابن سينا وابن باجة وابن رشد يتبعون كلياً التقليد الأرسطي في فلسفتهم، بل نعلم أن فيلسوف العرب الكندي معروف بفكرة الوسطية في آرائه في العلاقة بين الفلسفة والدين، وكذا ينضوي هنا ابن سينا وبعده ابن رشد شارح أرسطو الأكبر الذي ينحو منحى التوفيق بين الدين والفلسفة. لكن نحن هنا نتحدث عن مسألة مناهج التأليف في مؤلفات تصنيف العلوم، ففيها يرتسم الاختلاف بين هؤلاء الفلاسفة على وجه الإجمال.

في المنهج الإسلامي نرى اجتماع فلاسفة من مختلف المذاهب الفكرية والثقافية، وكذا من مختلف بقاع العالم الإسلامي؛ على الرؤى والمفاهيم التي أصلت لها الحضارة الإسلامية، فتشبتوا بأصولها وأعطوا لعلوم الشرع والدين قيمة مثلما أعطوها لعلوم العقل والفلسفة. إنها نظرة معتدلة قد توصلوا إليها من تأملهم في مباني المنظومة المعرفية والحضارية لمجالهم التداولي العربي الإسلامي، فاحتفظوا بأصولهم المؤسسة لثقافتهم ولم يستسلموا للاستلاب الثقافي الذي كان في أوجه في أزمنتهم، نعم؛ تبرز من صياغاتهم لمناهجهم في التأليف في هذا العلم المعنى الكامن المستقى من الأدبيات التربوية التي تنادي بضرورة اهتمام المتعلم الناشئ بالعلوم النقلية والعقلية معاً، فكان ذلك أبرز ما ابتكروه في علم تصنيف العلوم.

5. خاتمة

- وفي نهاية هذا البحث، يمكن أن نستعرض أهم النتائج المتوصل إليها؛ وهي:
- إن المشتغل بالعلوم الحكمية يُقبل على كتب تصنيف العلوم لأن غايتها الكبرى حصر أهم معالم كل علم مشهور في زمن تأليفها، لغاية تبسيطه لطالب العلم المبتدئ، فهي من هذه الجهة تخاطب المتعلمين كما تخاطب العلماء الذين يتقصّدون معرفة مبادئ علم لم يطلعوا عليه، كمثّل من هو متخصص في علوم الدين ويروم الإطلاع على علم من العلوم العقلية.
 - مناهج تصنيف العلوم في الحضارة اليونانية كانت تصنّف العلوم إلى قسمين، نظري وعملي، استناداً إلى رأي أرسطو، وتأتي فرادة وإبداع وابتكار الحضارة الإسلامية في علم تصنيف العلوم في أن مفكري الحضارات السابقة على الإسلام كانوا يركزون على تصنيف العلوم تصنيفاً عقلياً، غير أن مفكري الإسلام قسموا العلوم إلى صنفين: علوم دين وعلوم دنيا.
 - ومن الملاحظ أن أول تصنيف في الإسلام.
 - يعتبر تصنيف جابر بن حيان الذي توفي في نهاية القرن الثاني للهجرة أول تصنيف في الإسلام؛ إذ قسم العلوم إلى هذين القسمين، فمن بداية التأليف في هذا الشأن اهتمت الحضارة الإسلامية بهذا التقسيم، بل كان التأليف عموماً عند المسلمين في هذا التاريخ الذي دوّن فيه جابر كتابه قليلاً جداً، والعلوم لم تنشأ وتنضج وتكتمل بالبحث، ومع ذلك كان لهذا العلم أهمية كبرى.
 - انتبه علماء الإسلام إلى ضرورة إضافة المعاني العربية الإسلامية في تقسيم العلوم؛ أي تقسيم العلوم إلى علوم شرعية وعلوم عقلية، فإذا كان من سبقوهم، أعلى هرم تقسيمهم هو العلوم العقلية ومنه تنهمر العلوم بأنواعها، فإن المفكر الإسلامي أقام تصنيفه على هرمين؛ قمة الهرم الأول نقلي وقمة الهرم الثاني عقلي.

6. قائمة المراجع

- الأندلسي، أبو القاسم صاعد، (2019)، طبقات الأمم، تحقيق: حسين مؤنس، القاهرة، دار المعارف.
- الأهواني، أحمد فؤاد، الكندي فيلسوف العرب، القاهرة، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر.
- ابن باجة، أبو بكر، (1994)، تعاليق ابن باجة على منطق الفارابي (المدخل والفصول)، بيروت، تحقيق: ماجد فخري، دار المشرق.
- بدوي، عبد الرحمن، (1979)، خريف الفكر اليوناني، الكويت، وكالة المطبوعات.
- التوحيدي، أبو حيان، (1983)، رسالتان للعلامة الشهير بأبي حيان التوحيدي (الرسالة الثانية في العلوم)، قسطنطينية، مطبعة الجوائب.
- ابن جلجل، أبو داود سليمان، (1985)، طبقات الأطباء والحكماء (معه تاريخ الأطباء والفلاسفة لإسحاق بن حنين)، تحقيق: فؤاد سيد، بيروت، مؤسسة الرسالة.
- ابن حزم، أبو محمد، (2007)، رسائل ابن حزم (رسالة في مراتب العلوم)، تحقيق: إحسان عباس،، بيروت، المؤسسة العربية للدراسات والنشر.
- ابن حيان، جابر، (2009)، مجموعة من رسائل جابر بن حيان، اختيار وتحقيق: بول كراوس، دراسة وتقديم: عبد الرحمن بدوي، باريس، دار بيبليون.
- ابن حيان، جابر، (1989)، رسالة الحدود، ضمن: المصطلح الفلسفي عند العرب: نصوص من التراث الفلسفي في حدود الأشياء ورسومها، تحقيق: عبد الأمير الأعسم، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب.
- الخوارزمي، محمد بن أحمد، (2008)، مفاتيح العلوم، تحقيق: عبد الأمير الأعسم، بيروت، دار المناهل للطباعة والنشر والتوزيع.
- الخوارزمي، محمد بن أحمد، (1989)، مفاتيح العلوم، تحقيق: إبراهيم الأبياري، بيروت، دار الكتاب العربي.
- دزري، أمير، (2023)، مراتب العلوم؛ حول تصنيف العلوم في تاريخ الفكر الإسلامي، ترجمة: محمد فتوح، مركز نهوض للدراسات والأبحاث.
- زاده، طاش كبرى، (1985)، مفتاح السعادة ومصباح السيادة، بيروت، دار الكتب العلمية.
- ابن سينا، أبو علي، (1979)، تسع رسائل في الحكمة والطبيعات، القاهرة، دار العرب للبستاني.
- الصفاء، إخوان، (1995)، رسائل إخوان الصفاء وخلان الوفاء، تحقيق: عارف تامر، بيروت، باريس، منشورات عويدات.
- طاهر، حامد، الفلسفة الإسلامية: مدخل وقضايا، القاهرة، دار الثقافة العربية.
- ابن طملوس، أبو الحجاج، (2020)، المختصر في المنطق، تحقيق: فؤاد بن أحمد، الرباط، دار الأمان.
- العامري، أبو الحسن، (1988)، الإعلام بمناقب الإسلام، تحقيق: أحمد عبد الحميد غراب، الرياض، دار الأصالة للثقافة والنشر.

- الغزالي، أبو حامد، (2015)، إحياء علوم الدين، تحقيق: محمد الدالي بلطة، بيروت، المكتبة العصرية.
- الغزالي، أبو حامد، (2015)، المنقذ من الضلال والمفصح بالأحوال، تحقيق: مصطفى بيجو، إستانبول. تركيا، دار الروضة للطباعة والنشر والتوزيع.
- الفاخوري، حنا، والجر، خليل، (2020)، تاريخ الفلسفة العربية، القاهرة، دار العلم والمعرفة.
- الفارابي، أبو نصر، (1968)، إحصاء العلوم، تحقيق: عثمان أمين، القاهرة، مكتبة الأنجلو المصرية.
- ابن فارس، أبو الحسين، (2011)، مقاييس اللغة، تحقيق: إبراهيم شمس الدين، بيروت، دار الكتب العلمية.
- فدواش، نظيرة، (2022)، تصنيف العلوم عند ابن باجة، (المغرب)، مجلة الفلسفة والعلوم في السياقات الإسلامية، منشورات البحث في الفلسفة والعلوم في السياقات الإسلامية، العدد الأول والثاني.
- الفرحان، محمد جلوب، (2017)، تصنيف العلوم ما بين اليونان والعرب، (كندا)، مجلة أوراق فلسفية جديدة، مركز دريد الفرحان للأبحاث والدراسات، عدد 36.
- كرم، يوسف، (2016)، تاريخ الفلسفة اليونانية، القاهرة، دار السوفر للنشر والتوزيع.
- كرم، يوسف، (2012)، تاريخ الفلسفة الأوروبية في العصر الوسيط، بيروت، دار القلم للطباعة والنشر والتوزيع.
- الكندي، أبو يوسف يعقوب، (1950)، رسائل الكندي (رسالة كمية كتب أرسطوطاليس وما يحتاج إليه في تحصيل الفلسفة)، تحقيق: محمد عبد الهادي أبو رييدة، القاهرة، دار الفكر العربي.
- لعربي، عبد الله، (2023)، مسألة تصنيف العلوم عند المسلمين وغيرهم (الجزء الثاني)، الجزائر، مجلة بشائر العلوم، المدرسة العليا للأساتذة، العدد 6.
- لعربي، عبد الله، (2023)، مسألة تصنيف العلوم عند المسلمين وغيرهم (الجزء الأول)، الجزائر، مجلة بشائر العلوم، المدرسة العليا للأساتذة، العدد 5.
- مسكويه، أبو علي، (1960)، تهذيب الأخلاق، تحقيق: قسطنطين زريق، بيروت.
- معجم اللغة العربية، (1983)، المعجم الفلسفي، القاهرة، الهيئة العامة لشؤون المطابع.
- موسى، جلال الدين، (1985)، تصنيف العلوم عند العلماء المسلمين، مصر، مجلة المسلم المعاصر، العدد 41.
- مؤنس، حسين، (2002)، فجر الأندلس: دراسة في تاريخ الأندلس من الفتح الإسلامي إلى قيام الدولة الأموية (711-757م)، بيروت، دار المناهل للطباعة والنشر والتوزيع.
- موي، بول، المنطق وفلسفة العلوم، ترجمة: فؤاد زكريا، القاهرة، دار نهضة مصر.
- ابن النديم، أبو الفرج، (2007)، الفهرست، تحقيق: أيمن فؤاد سيد، لندن، مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي.

7. Bibliography List

- Al-Ahwany Ahmed Fouad, Al-Kindi Arab Philosopher, Egyptian General Organization for Authorship, Translation, Printing and Publishing, Cairo.
- Al-Amiri Abu Al-Hassan, (1988), Media with the virtues of Islam, investigated by: Ahmed Abdul Hamid Ghorab, Dar Al-Asala for Culture and Publishing, Riyadh.
- Al-Andalusi Abu Al-Qasim Sa'ed, (2019), Layers of Nations, investigated by: Hussein Munis, Dar Al-Maaref, Cairo.
- Al-Fakhoury Hanna and Al-Jar Khalil, (2020), History of Arab Philosophy, Dar Al-Ilm and Al-Maarifa, Cairo.
- Al-Farabi Abu Nasr, (1968), Statistics of Science, edited by: Othman Amin, Anglo-Egyptian Library, Cairo.
- Al-Farhan Mohammed Globe, (2017), Classification of Sciences between Greece and the Arabs, Journal of New Philosophical Papers, Duraid Al-Farhan Center for Research and Studies, Canada, No. 36.
- Al-Ghazali Abu Hamed, (2015), The Revival of Religious Sciences, edited by: Muhammad Al-Dali Balta, Beirut, Al-Asriya Library.
- Al-Ghazali Abu Hamid, (2015), The savior from misguidance and the revealer of conditions, edited by: Mustafa Bijou, Istanbul, Turkey, Dar Al-Rawda for Printing, Publishing and Distribution.
- Al-Khwarizmi Mohammed bin Ahmed, (2008), Keys to Science, edited by: Abdul Amir Al-Asam, Beirut, Dar Al-Manahil for Printing, Publishing and Distribution.
- Al-Khwarizmi Muhammad bin Ahmed, (1989), Keys to Science, edited by: Ibrahim Al-Abyari, Dar Al-Kitab Al-Arabi, Beirut.
- Al-Kindi Abu Yusuf Yaqoub, (1950), The Letters of Al-Kindi (A Quantitative Treatise on Aristotle's Books and What Is Needed for the Pursuit of Philosophy), edited by Muhammad Abd al-Hadi Abu Rida, Dar al-Fikr al-Arabi, Cairo.
- Al-Safa Ikhwan, (1995), The Letters of the Brothers of Purity and the Friends of Fidelity, edited by Aref Tamer, Awdeh Publications, Beirut-Paris.
- Al-Tawhidi Abu Hayyan, (1983), Two Letters of the famous scholar Abu Hayyan Al-Tawhidi (The Second Treatise on Science), Al-Jawa'ib Press, Constantinople.
- Badawi Abdul Rahman, (1979), Autumn of Greek Thought, Publications Agency, Kuwait.
- Dazri Amir, (2023), Ranks of Sciences: Regarding the Classification of Science in the History of Islamic Thought, translated by: Muhammad Fattouh, Renaissance Center for Studies and Research.
- Dictionary of the Arabic Language, (1983), Philosophical Dictionary, General Authority for Printing Affairs, Cairo.
- Fadwash Nazira, (2022), The Classification of Sciences by Ibn Bajja, Journal of Philosophy and Sciences in Islamic Contexts, Research Publications in Philosophy and Sciences in Islamic Contexts, Morocco, First and Second Issues.
- Ibn al-Nadim Abu al-Faraj, (2007), Catalogue, edited by: Ayman Fouad Sayed, Al-Furqan Foundation for Islamic Heritage, London.
- Ibn Bajja Abu Bakr, (1994), Ibn Bajja's Commentaries on the Logic of Al-Farabi (Introduction and Chapters), edited by: Majid Fakhri, Dar Al-Mashreq, Beirut.

- Ibn Faris Abu al-Husayn, (2011), Language metrics, edited by Ibrahim Shams al-Din, Dar al-Kutub al-Ilmiyya, Beirut.
- Ibn Hayyan Jaber, (1989), Border Message, within: The Philosophical Term among the Arabs: Texts from the Philosophical Heritage in the Limits of Things and Their Drawings, edited by: Abd al-Amir al-Aasam, Egyptian General Book Organization, Cairo.
- Ibn Hayyan Jaber, (2009), a collection of letters of Jaber bin Hayyan, selection and investigation: Paul Krauss, study and presentation: Abdul Rahman Badawi, Dar Biblion, Paris.
- Ibn Hazm Abu Muhammad, (2007), Ibn Hazm's Letters (A Treatise on the Ranks of Science), edited by: Ihsan Abbas, Arab Institute for Studies and Publishing, Beirut.
- Ibn Juljul, Abu Dawud Sulayman, (1985), Layers of doctors and wise men (with him the history of doctors and philosophers by Ishaq ibn Hunayn), edited by: Fouad Sayyid, Al-Resala Foundation, Beirut.
- Ibn Sina, Abu Ali, (1979), Nine Treatises on Wisdom and Nature, Dar al-Arab by al-Bustani, Cairo.
- Ibn Tamlous Abu Al-Hajjaj, (2020), Shortcut in logic, edited by: Fouad bin Ahmed, Dar Al-Aman, Rabat.
- Karam Youssef, (2012), History of European Philosophy in the Middle Ages, Dar Al-Qalam for Printing, Publishing and Distribution, Beirut.
- Karam Youssef, (2016), History of Greek Philosophy, Dar Al-Sofar for Publishing and Distribution, Cairo.
- Laribi Abdallah, (2023), The Issue of Classification of Sciences among Muslims and Others (Part Two), Journal of Bashair Al-Science, Higher School of Professors, Algeria, No. 6.
- Laribi Abdallah, (2023), The Question of Classification of Sciences among Muslims and Others (Part I), Journal of Bashaer Al-Science, Higher School of Teachers, Algeria, No. 5.
- Miskawayh Abu Ali, (1960), Refinement of Morals, edited by: Constantine Zureik, Beirut.
- Moanes Hussein, (2002), Fajr al-Andalus: A Study in the History of Andalusia from the Islamic Conquest to the Establishment of the Umayyad Dynasty (711-757 AD), Dar Al-Manahil for Printing, Publishing and Distribution, Beirut.
- Moy Paul, Logic and Philosophy of Science, translated by: Fouad Zakaria, Dar Nahdet Misr, Cairo.
- Musa Jalal al-Din, (1985), Classification of Science among Muslim Scholars, Journal of the Contemporary Muslim, Égypte, No. 41.
- Tahir Hamid, Islamic Philosophy: An Introduction and Issues, Dar Al-Thaqafah Al-Arabiyyah, Cairo.
- Zadeh Tash Kobra, (1985), The Key to Happiness and the Lamp of Sovereignty, Dar Al-Kutub Al-Ilmiyya, Beirut.